محمـد بن حمـد الهنـائي

الخـط بيـن امتدادين

حضاري وإنساني

جاز أن أسمي الخط جسراً ممتداً بيني وبينك، إذا ما اصطلحنا أنا وأنت الآن عزيزي القارئ دلالة الجسر، ومفهومنا المباشر له كرابطٍ بين نقطتين محددتين بالمسافة المعلومة أو اللامحددة افتراضاً، كون الخط من مصطلح فقهي يعني العقد بين طرفين، ومن مصطلح أدبي يعني الخلق والصناعة الإنشائية، وعليه بات الأداة التي كان لا بد من وجودها للتعايش، والحوار، وحفظ الحقوق، والمتطلبات الحياتية، هو الخيط الواصل إليك من الآخر على صحنٍ يتغذى منه فكرك.

Text.indd 118 07/07/2022 9:12 AM

ما يهمني هنا الالتقاء وليس نتائجه، لكنه مدخل لازم، باسطٌ ذراعيه وجب أن نلتفت إليه. قد يتعدى الخط العربي الذي طرقناه في هذا العدد، حدود التعايش وكل ما ذكر آنفا إلى عالمٍ، بل وعوالم أخرى كالجمال والإبداع، والإقتصاد والتجارة، إذا ما ادخلناه في عالم المال والأعمال، لأن شجرة اللغة العربية المباركة، لا شك أن ثمرها سيأتي يانعاً لمن اهتم به ورعاه، وأتقنه، وصقله بالورش التعليمية، ومراكز التدريب، والبحث والممارسة، ليكون امتداداً لجيلٍ بعد جيل. فالخط العربي كان وما زال أحد أذرع الفنون الممتدة شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً لنفاسته وعمقه، لإتاحته المساحات والفضاءات الحرة للخيال والابتكار، وفق الضوابط المحددة له، وبتشابك حروفه وتلاحمها، الميزة التي أظهرت فارقاً كبيراً في تشكيلته وهندسته، كما يريد له الفنان أو الخطّاط، وتقوم فلسفته الجمالية على تداخل الشكل والمضمون كما قال ابن حيان «هو هندسة روحية ظهرت بآلة جسدية» فنوعية الخط قد تتطلب نصاً معيناً لا غيره من النصوص، فالوجدانيات مثلا قد تميل لشكل الخط الديواني الذي يقتلع الإحساس من الداخل وذلك لتثني حروفه كثني الحنين بين الأضلاع، وميلانها كالياس الذي يخلفه الجفاء، وتعرجها كما تتعرك العاطفة بين أن تعطي وتقبض، وهكذا مع النصوص الأخرى، فالقرآن الكريم - مثلاً - يُبرز هيبته خط الثُلث والذي يعد الأصعب بين الخطوط، وكذلك خط النسخ له تفرده مع الكتاب العظيم أيضاً، مؤكداً ذلك قول الإمام علي كرم الله وجهه «الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً»، وأي حقٍ إذا ما كان القصد هو القرآن الكريم.

كان للخط العربي في سلطنة عمان مكانته لمعتنقيه ومريديه، قامت على أثره دواوين، وأمهات للكتب والمؤلفات في شتى صنوف الأدب، والشريعة، والعلوم الدنيوية الأخرى، كما زين بجمالياته جدران المساجد وأسقفها، والأضرح، والمعالم الأثرية، وما ذلك إلا برهاناً ثابتاً قاطعاً على نباهة العمانيين وحذاقتهم، وبحثهم عن المعارف، والعلم، والتعلم. الأمر الذي يأتي منادياً في هذا المقام، بعودة الروح التي سمت باللغة والحرف المعتق بالأصالة، والعظمة، ليكون زاهياً كعقد يزين حسناء، من جديد، ونتصدر المشهد مع من تصدر الآن وسبقنا في صقل الخطاطين وتأهيلهم، وتعزيز الثقافة العامة لهذا الفن لقيمته، وعِظمه، ونفاسته، ولخلفيتنا الحضارية والتاريخية، الآتي امتدادها لآلاف السنين والحُقب، والتي تلزمنا الجد والعمل المضاعفين، كيف لا ونحن أحفاد الأعلام، والكتّاب، والعلماء، من خطت أناملهم، نسيج فكرهم، ورؤاهم، بالمحابر التي مزجت بماء العين، ودم السهر، للمعاناة في استحضار موادها الخام، وصناعتها، والحفاظ عليها من التلف، في ظروف لا يُعلم كيف تهيأت لهم؟ وكيف طوعوها؟ من أجل أن يورثوا لنا هذا الكم الهائل من المخطوطات، والتي سميت لاحقاً بالنسَق العماني، أو الخط العماني، وإن كان البعض من الخطاطين يروه نوعاً من النسخ، لبعده عن المنهجية، وقواعد الخطوط المتعارف عليها، ولم يصل إلى أن يسمى بنوع معين من الخطوط، وإذ أجدني اميل مع الخطاطين كل الميل، فلا يصح أن نسلّم لأمر يتعلق بالعلوم والمدارس والأصول، لننساق مع المتداول من العامة، ونخوض مع الخائضين، نردد ما يقولون. وعليه ومن منطلق رؤية عمان 2040، وبمبدأ الشراكة في تحقيق أهداف التنمية الاجتماعية للبلاد، ورسم خططها، والتي تأتي أحد أهم ركائزها _الثقافة _ بات من الضروري إنشاء مراكز ثقافية تعنى بالفنون، ومن بين أقسامها وتفرعاتها قسم خاص بتعليم الخط العربي، في كل محافظة، على أن يتم تحت إشراف ممنهج، ومتخصص، برئاسة المحافظ في متابعة أعمال التنفيذ واللوجستيات، وفريقه الذي يتولى هذه المهمة، ويكون تابعاً لوزارة الثقافة والرياضة والشباب، لخلق وظائف جديدة، للباحثين عن عمل، تفتح أملاً لغد مشرق.

Text.indd 119 07/07/2022 9:12 AM